الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ٢٢ فبراير ٢٠٠٥

اغتيـــال الحـــريـــري.. ســـوريـــا والمنعطـــف

خالد عويس *

اتسم رد الفعل السوري على جريمة اغتيال رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري بقدر من قصر النظر السياسي علاوة على البطء فيما يتعلق بإدارة الأزمات. ويبدو واضحا أن أزمة اغتيال الحريري في ظل الملابسات اللبنانية الراهنة، والضغوط الدولية الرهيبة على سوريا ولبنان، تمثل منعطفا خطيرا بالنسبة لدمشق ولعلاقتها المتشعبة ببيروت.

لكن السوريين لم يولوا الأمر عنايتهم الكافية، ولم ينظروا لتبعات الحادث واستحقاقاته الضخمة بشكل جدي. وغابت الديناميكية السياسية التي كان مطلوبا توفرها في مثل هذه الظروف لجهة أن تؤكد سوريا حضورها إلى جانب حليفتها غير العادية لبنان، وتشرع في امتصاص الاحتقان الداخلي الذي أفضى لتهيئة الظروف لهذا الحادث.

وكان لزاما على سوريا أن تأخذ بالاعتبار المياه الغزيرة التي تمر تحت الجسور اللبنانية السورية في هذه الفترة. وكان عليها أن تحسب حساب التأزم على الصعيد الدولي والحبل الذي تلفه بعض القوى الدولية تدريجيا حول عنقها.

فبخلاف الزيارة التي قام بها نائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام إلى بيروت، وتصريحات مقتضبة للغاية من قبل الرئيس بشار الأسد نقلت عن طريق وكالة الأنباء السورية، وأخرى من وزير الخارجية فاروق الشرع، لم تكترث دوائر صناعة القرار، ولا المعنيون بالاعلام السوري بتأكيد مواكبة سوريا لهذا الزلزال الكبير الذي هز المنطقة.

سوريا لم تعلن الحداد الرسمي على الحريري، الصديق والحليف الذي مهد طريق التسوية اللبنانية في الطائف بشراكة سورية، كما أن التلفزيون السوري لم يعن بتغطية مراسم التشييع، ولم يأبه كثيرا لتغطية الحدث بحد ذاته، الأمر الذي يشكل طعنة في صميم المشاعر اللبنانية المتأججة.

ولم تتوجه قيادات سياسية وشعبية سورية إلى بيروت لتقديم التعازي لأسرة الحريري، وكان أليق بالسوريين أكثر من سواهم تشكيل حضور لافت في بيروت هذه الأيام، كما أن المحللين لاحظوا قدرا من «البرود» السوري تجاه الحدث بأكمله لدرجة أن اسم الحريري لم يجر على لسان وزير الخارجية السوري حين سأله الصحافيون عن اغتيال الرجل.

وتبقى الأسئلة المطروحة حاليا من قبيل نقد الذهنية السياسية التي كانت وراء «الجمود» السوري في إبداء القدر المعقول من ردة الفعل على اغتيال الحريري، و«الفتور» الذي اعترى حراك دمشق حيال الموضوع برمته.

ولن يسارع محلل يتحلى بأقل قدر من الموضوعية باتهام سوريا أو غيرها من الأطراف إلى أن تظهر نتائج التحقيق، لكن أي محلل بمقدوره تلمس الأخطاء السورية الواضحة حيال التحرك الذي كان مطلوبا بعد اغتيال الحريري.

كان على السوريين أن يكونوا أكثر حضورا من غيرهم على مسرح الأحداث في بيروت، وكان عليهم كذلك أن يقبلوا بنوع من الشراكة الدولية لكشف ملابسات الحادثة. وليس بالضرورة أن تتبنى دمشق وجهتي النظر الفرنسية والأمريكية حيال لجنة تحقيق دولية، لكن كان بمقدورها الدفع باتجاه قبول بيروت باكرا بالاستعانة بخبراء دوليين.

ويبدو أن المسؤولين السوريين لم ينتبهوا أيضا إلى اعلان السلطات اللبنانية ملاحقتها لستة أصوليين هربوا إلى أستراليا، فهذا الاعلان يشي بأن السوريين وافقوا على توجيه الاتهام للأصولية الإسلامية بحسبان الارتباط الواضح بين دمشق وبيروت، وهو ما سيكلف غاليا أيضا لأنه يخرج «إسرائيل» بالضرورة من دائرة الاتهام.

ودلت المظاهر الشعبية التي رافقت تشييع الحريري، والسقوف العالية التي باتت تظلل مطالب المعارضة اللبنانية علاوة على حوادث الاعتداء المتفرقة التي تعرض لها سوريون في لبنان على نقمة أغلبية اللبنانيين على طريقة تعاطي سوريا في الشأن اللبناني.

ولو تعاملت سوريا بحس سياسي واعلامي مختلف لكفت نفسها مؤونة الأثمان الباهظة التي تدفعها حاليا، والتي تدل على أن تأزم علاقاتها مع بعض القوى الدولية مرشح لأن يدخل مرحلة جديدة هذا إن لم يكن قد حدث بالفعل.

تتكرر الأخطاء ذاتها في المنطقة بشكل يدعو للرثاء، فالحكومة السودانية قبل نظيرتها السورية ظلت تتعاطى مع أزمة دارفور كأنما هي أزمة تدور في الأرجنتين أو كمبوديا. ولم تلتفت أبدا للمخاطر التي يمكن أن تترتب على الأزمة فيما لو اتسع نطاقها وهو الأمر الذي حدث بالفعل نتيجة تراكم الأخطاء وميل الخرطوم لاطفاء حريق دارفور بنار الحسم العسكري. والآن تواجه الخرطوم كما هو شأن دمشق استحقاقات دولية قد يدفع ثمنها بعض أقطاب النظام السوداني.

---

* كاتب وصحافي سوداني مقيم في الامارات

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية